فريق موقع الآجري للتفريغ

سلسلة تفريغات "الثالثة"

(٣٧)

شَرحُ

كِتَـــابِ الكَبَـــــائِر وَتَبْيينِ الْمَحَارِم

تَأْلِيف

الْحَافِظِ أَبِي عَبْدِاللهِ مُحَمَّدٍ بنِ أَحْمَدَ بنِ عُثْمَانَ بنِ قَايمَازَ الذَّهَبِيِّ

٦٦٣-٧٤٨ هـ

لفضيلة الشيخ

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

الكَبِيرَةُ الخَامِسَةُ والثَّلاثُون: التَّعَلُّمُ لِلدُّنيَا وَكتِمَانُ العِلْمِ

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

[أشرطة مفرغة]

بسم الله الرّحمـــٰن الرحيم

[المتن]

الكَبِيرَةُ الخَامِسَةُ والثَّلاثُون:

التَّعَلُّمُ لِلدُّنيَا وَكِتْمَانُ العِلْمِ

قَالَ اللهُ–تَعَالَى–: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[فاطر:٢٨].

[الشرح]

ثم ذكر هـــٰذه الكبيرة وهي (التَّعَلُّمُ لِلدُّنيَا وَكِتْمَانُ العِلْمِ)، هاتان كبيرتان:

الأولى: التعلّم للدّنيا، يعني أن يطلب العلم للدّنيا، والعلم عبادة وقربى لله – سُبْحَانَهُ وَتَعَـــالَىٰ–، فطلب العلم للدّنيا كبيرة، أن يتعلّم العلم ليطلب به الدّنيا هـــٰذا كبيرة.

وكذلك كتمان العلم كبيرة من كبائر الذّنوب، والعلم عبادة وقربى وطاعة لله – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– لا يطلبه الإنسان إلاّ لطلب رضا لله –عزّ وجلّ–.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، فهـــٰذا هو ثمرة العلم الصّحيح والعلـــم النّافع، أنّه يورث الخشية والإقبال على الله – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ–، لا الإقبال على الدّنيا وقصدها بطلب العلم.

[المتن]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّـــاسِ فِـــي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾[البقرة:١٥٩].

[الشرح]

هـــٰذه الآية فيها تحريم كتمان العلم، تحريم كتمان العلم ممّن آتاه الله –عـــزّ وجـــل– البيّنـــات والْهُدى، وأخبر الله –عزّ وجل– أنّ كاتم العلم يلعنه الله ويلعنه اللاّعنون، وكتمان العلـــم إخفـــاؤه وعدم إظهاره، هـــٰذا المراد بكتمانه، وقت الحاجة إليه، إخفاءً للعلم وإخفاءً للحق وإخفاءً للهـــدى وتضليلا للنّاس، فهـــٰذا كبيرة من كبائر الذّنوب.

أمّا إذا كان الغرض صيانة العلم، يعني كتمه عن بعض النّاس صيانةً للعلم عمّن لا يحمله ولا يُحسن حمله، أو إذا كان الإنسان منزلته في العلم لم يصل إلى مثل بعض المسائل المتقدّمة، فلا يجيبه، لا يجيبه بالعلم، ليس هٰذا كتمانًا وإنّما هٰذا مصلحة.

[المتن]

وَقَالَ -تَعَالَى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾[البقرة:١٧٤].

[الشرح]

(وقال -تعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾) أيضا هٰذه نظير الآية التي قبلها في سورة البقرة في بيان عقوبة وحكم مرتكب هٰذه الكبيرة، وهي كتمان العلم.

[المتن]

وَقَالَ -تَعَالَى-: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾[آل عمران:١٨٧] الآية.

[الشرح]

ثمّ أيضا ذكر هٰذه الآية وفيها خطورة كتمان العلم، وأنّ الله أخذ الميثاق على أهل العلم أن يبيّنوا العلم للنّاس ولا يكتمونه، فمن كتمه خالف هٰذا الميثاق وهٰذا العهد الذي أخذه الله -عزّ وجل- على من آتاه الله العلم.

[المتن]

وَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ تعلَّمَ عِلما مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجهُ اللهُ، لا يتعَلَّمُه إلا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضا مِن الدُّنيا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يومَ القِيامَةِ" يعني: رِيحها. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ صَحِيْحٍ.

[الشرح]

هٰذا فيه عقوبة الذي يتعلّم العلم الذي يُبتغى به وجه الله لا يتعلّمه إلاّ ليصيب به عرض الدّنيا، يعني نيّته فيه ليست خالصة لله وإنّما نيّته في طلبه نيْل عرض الدّنيا، فعقوبته أنّه لا يجد عرْف الجنّة أي رائحة الجنّة.

[المتن]

وَقَدْ تقدّمه حَدِيْثُ أَبِيْ هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– فِي الثَّلاثَةِ الذِيْنَ يُسْحَبُونَ إِلَى النَّارِ، أَحَدُهُمُ الَّذِيْ يُقَالُ لَهُ: «إِنَّمَا تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَدْ قِيْلَ».

روى يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ مَرْفُوعًا: «لَا تَتَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِتُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ تُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ، وَلَا تَحيزوا بِهِ الْمَجَالِسَ فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَالنَّارُ النَّارُ» رَوَاهُ ابْنُ وَهْبٍ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ فَأَرْسَلَهُ.

[الشرح]

هـٰذا ممّا يتنافى مع الإخلاص في طلب العلم، أن يتعلّم المرْء العلم ليباهي به العُلماء، يعني ليحصل له المباهاة والمفاخرة في مجالس أهل العلم.

ومن الأمثلة على ذلك أن يضبط مسألة من المسائل الدّقيقة ثمّ يذكرها في مجلس عالم، ثمّ يبدأ يتكلّم فيها لأنّه راجعها مراجعة واسعة حتّى يحصل له المفاخرة والمباهاة وأنّه عنده ما ليس عند العالم، ويقصد بذلك في قرارة نفسه أن يبرز وأن يظهر، وأن يكون له الفخْر، وأن يفتخر في المجلس، فهـٰذه نيّة فاسدة، ولو جلس ليالي يضبط مسألة لا تكون في صالح عمله، لأنّه ضبطها للمفاخرة والمباهاة، وهـٰذا ممّا يتنافى مع الإخلاص.

وكذلك مماراة السّفهاء، مماراة السّفهاء لأجل الخصومة والجدل، والظّهور في المجالس، وغلبة الآخرين، حتّى ولو كان على غير الحقّ يحرص أن يكون له الغلبة، وإفحام الآخرين وإسكاتهم، هـٰذه مماراة السّفهاء؛ يعني طلب العلم من أجل مماراة السّفهاء.

أو كذلك ليحيز به المجالس، أن تكون المجالس له، ويشتهر ويفخر على النّاس، هـٰذا كلّه يتنافى مع الإخلاص، فلا يكون عمل الإنسان مقبولاً، بل هو يتنافى مع الإخلاص، يتنافى مع طلب العلم قاصدا به وجه الله – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ–، العقوبة قال: «فالنّار النّار».

[المتن]

وَرَوَى إِسْحَاقُ بنُ يَحْيَى، عَنْ عَبْدُ اللهِ بنِ كَعْبِ بنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيْهِ، عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «مَنِ ابْتَغَى العِلْمَ لِيُبَاهِيَ بِهِ العُلَمَاءَ أَوْ يُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ تُقْبِلَ أَفْئِدَةُ النَّاسِ إِلَيْهِ فَإِلَى النَّارِ» وَفِيْ لَفْظٍ: «أَدْخَلَهُ اللهُ النَّارَ» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، لَكِنَّ إِسْحَاقَ وَاهٍ.

[الشرح]

نعم، وهو بمعنى ما سبق.

[المتن]

وَقَالَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ» إِسْنَادُهُ صَحِيْحٌ، رَوَاهُ عَطَاءٌ عَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ.

[الشرح]

هـٰذه عقوبة كاتم العلم أنّه يوم القيامة يُلجم بلجام من نار، يعني ليس كاللُّجُم التي في الدّنيا، اللّجام الذي يوضع على الدّابة من القماش، يوضع على فمها حتّى لا تأكل، إذا أراد صاحبها أنّها لا تأكل يضع عليها لجاما على فمها، فلا تستطيع أن تأكل، والذي يكتم العلم ويمنعه مع حاجة النّاس إليه يُلجم يوم القيامة ليس بقماش وإنّما بلجام من نار، لجام لا كاللُّجُم، وإنّما لجام من نار عقوبة له على كتمانه للعلم.

[المتن]

وقال عبد الله بن عيّاش القتباني، عن أبي أبيه، عن أبي عبد الرحمـٰن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «من كتم علمًا ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار» قال الحاكم على شرطهما، ولا أعلم له علة.

[الشرح]

نعم، وهو بمعنى ما سبق.

[المتن]

وقال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «اللَّهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع».

[الشرح]

قوله في الحديث: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع» فيه تعوذ بالله من العلم الذي لا ينفع؛ إما أن يكون العلم نفسه غير نافع أو أن يكون العلم نفسه نافع لكن لا ينتفع به صاحبه، ولهـٰذا جاء في الدعاء الآخر ((اللهم علمني ما ينفعني وانفعني بما علمتني)) فقد يكون العلم نافعا لكن صاحبه لا

ينتفع به، يحصّله ولكن لا ينتفع به، فالإنسان يتعوذ بالله من العلم الذي لا ينفع، ومقصود العلم العمل كما قال علي بن أبي طالب –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–:

يهتف بالعلم العمل فإن أجابه وإلا ارتحل.

[المتن]

وعن النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قال: "من تعلم علما لغير الله –أو أراد به غير وجه الله– فليتبوأ مقعده من النار" حسنه الترمذي.

[الشرح]

وهـٰذا يدلّ عليه ما سبق لأن العلم عبادة، والعبادة لا تقبل إلا إذا كانت خالصة لله، ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾[البينة:٥].

[المتن]

وعن ابن مسعود –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– قال: من تعلم علما لم يعمل به لم يزده الله إلا كبرا.

[الشرح]

(**من تعلّم علما لم يعمل به**) يعني لم يكن محافظا على العمل بما يتعلم يصاب بالكبر؛ ويصاب بالكبر، والكبر مرّ معنا قُبْحُه وبيان الأدلة في ذمِّه، فالذي يتعلم ولا يعمل يصاب بالكبر، ولهـٰذا تطامن الإنسان وتواضعه أن يكون كلّما ازداد علما ازداد عملا، يقول ابن القيم رحمه الله: كل علم لا يزداد به الإنسان عملا مدخول. يعني نية صاحبه فيه مدخولة؛ لأنه لو كانت خالصة لازداد به عملا وصلاحا وإقبالا على الله عز وجل.

[المتن]

وروي عن أبي أمامة –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– عن النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قال: "يجاء بالعالم السوء يوم القيامة فيقذف في جهنم فيدور بقصبه كما يدور الحمار بالرحى، فيقال: بم لقيت هـٰذا وإنما اهتدينا بك؟ فيقول: كنت أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه".

[الشرح]

هـٰذا الحديث ثابت في الصّحيحين من حديث أسامة بن زيد –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ–، والحديث فيه عقوبة العالم السوء يوم القيامة أنه يؤتى به يوم القيامة ويقذف به في النار، ويطاف بها كما يطاف

بالحمار بالرحى، يعني يدور وتندلق أمعاءه كما جاء في الحديث، ويسأله أهل النار: أي فلان ما كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر فآتيه. فهـٰذه عقوبته يوم القيامة أن يُلقى في النار على هـٰذه الصفة (كنت أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه)، وفي قول شعيب لقومه: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾[هود:٨٨].

ولهـٰذا يقول بعض العلماء: ثلاث آيات في القرآن ينبغي على كل متعلم أن يجعلها نصب عينيه هـٰذه الآية ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾[هود:٨٨].

والآية الثانية قول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢)﴾[الصف:٠٢].

والآية الثالثة في سورة البقرة: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ (٤٤)﴾[البقرة:٤٤].

[المتن]

وقال هلال بن العلاء: طلب العلم شديد، وحفظه أشد من طلبه، والعمل به أشد من حفظه والسلامة منه أشد من العمل به .

[الشرح]

أي أنّ هـٰذا المقام مقام مجاهدة قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[العنكبوت:٦٩]:

مجاهدة أولا على الطلب والتحصيل.

مجاهدة على الفهم والاستذكار.

مجاهدة على العمل والتطبيق.

مجاهدة على إخلاص النية في ذلك كله لله.

مجاهدة على الثبات على ذلك حتى الممات.

فالأمر يحتاج إلى مجاهدة متواصلة.

۞۞۞۞